



من القدس إلى أريحا المشروع الإنشائي العربي... ومساهمته في اقتصاد ما بعد النكبة

أ.د. عبد الرحمن مغربي

جامعة القدس المفتوحة - فلسطين

الملخص:

تبلورت فكرة المشروع الإنشائي العربي من قبل شخصية فلسطينية من صلب العمل المؤسساتي الواعي لخطورة المشروع الصهيوني، فكان موسى العلمي الذي بلور مشروعاً في الجامعة العربية لمساندة الفلاح الفلسطيني، وتمكينه في أرضه من خلال تطوير أدوات الإنتاج لمقاومة سياسة تهويد الأراضي ونقل ملكيتها.

وبدأ خطوات عملية مدروسة لتأسيس المشروع الإنشائي العربي كمؤسسة غير ربحية تُعنى بالفلاح الفلسطيني، وتطوير عمله في أرضه، وترفع مستواه المعيشي، لتكون رافعة بناء اقتصادي في مجال الإنتاج الزراعي، وتدريب الكفاءات التشغيلية على مستوى الوطن، وتطوّر فيما بعد الاعتناء بأبناء اللاجئين وإكسابهم مهارات تدريبية، سواء كان ذلك في الزراعة أو المهن الأخرى.

لقد بذل موسى العلمي جهوده ونفوذه في المحيط العربي لتجنيد الدعم والمساندة، حتى

قامت اللجنة الاقتصادية لجامعة الدول العربية بتبني المشروع عام 1945م، وحصل على دعم مادي عراقي في هذا المجال، وقدمت له المملكة الأردنية الهاشمية الأرض والدعم والرعاية حتى قطع أشواطاً طويلة في المشروع، الذي بدأ يتطور وينمو بشكل سريع ومزدهر.

ولكن حرب عام 1967م أدت إلى تعطيل العمل فيه كونه على خط المواجهة، ولكنه نهض من جديد وبدأ استئناف العمل، ووقع العديد من الاتفاقيات مع مؤسسات عالمية في سبيل تطوير أدائه الذي لا يزال مميّزاً في مجالات عدة، رغم سياسة الاحتلال التي تضع عدة عقبات في طريق تطويره.

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على عمل إحدى المؤسسات العاملة في مجال الخدمة المجتمعية، والتي قدّمت خدمات عدة، وساهمت في بناء اقتصاد ما بعد نكبة عام 1948م، كما تهدف إلى فضح العراقيل التي يضعها الاحتلال أمام تطوير الاقتصاد الفلسطيني.

المقدمة

بعقيدة الاستيطان والإحلال، تُبلور إسرائيل وجودها على الأرض، وتمعن في إبعاد السكان العرب من الحيز المكاني وإحلال المستوطنين مكانهم، ولقد دأب الفلسطينيون على مواجهة هذه النكبة المستمرة بالانخراط فيما اصطلح على تسميته بالمقاومة المكانية أمام «سيد» الحرب والاحتلال والاستيطان والتميز العنصري كإستراتيجية للبقاء، ومع نهايات القرن التاسع عشر بدأت الصهيونية صراعاً موسعاً في سبيل السيطرة على الأرض، وكانت حرب عام 1948م إحدى حلقات النجاح للحركة الصهيونية، حيث سيطر الصهاينة على كل المدن والقرى الفلسطينية التي وقعت في أيديهم وطرّدوا سكانها من بيوتهم بالقوة، كل ذلك تم بمساعدة من سلطات الانتداب البريطاني الموجودة في على الأرض، وفي أغلب الحالات ارتكب الصهاينة مجازر جماعية منظمة ضد الشعب الفلسطيني.



كان الفلاح الفلسطيني أكثر تمرسًا وخبرة وذكاء من المزارع الصهيوني، إلا أنه لم يتمكن خلال فترة الانتداب البريطاني من تحديث أساليبه وفق مستوى طموحاته؛ وذلك لنقص رؤوس الأموال المتاحة، وفقره المدقع وانعدام خدمات الإرشاد، والبحث، والتعليم، والتدريب الزراعي، كما أن المزارع الفلسطيني تعرّض لموجة صراع مع المحتل الصهيوني، الذي استهدف نزع الأرض؛ الأمر الذي أدى إلى استمرار النزاع الدموي بينهما، وإلى عدم الاستقرار؛ مما عكس آثاره على النشاط الإنتاجي.

وهنا كان المشروع الإنشائي العربي الذي تقدم به إلى الجامعة العربية الوطنيّ الطموح موسى فيضي العلميّ - أحد رجالات الحركة الوطنية الفلسطينية - في أواخر فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، ولكن فكرة إنشائه ترجع إلى الحركة الوطنية العربية خلال الحرب العالمية الثانية، يوم بدأت الحركة الوطنية سلسلة اجتماعاتها الرسمية وغير الرسمية للوقوف في وجه الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية.

أوفدت اللجنة العربية العليا في فلسطين السيد موسى فيضي العلميّ للمشاركة في اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربيّ العام، الذي عُقد في الإسكندرية بتاريخ 25/9/1944م، وعُرف فيها بعد بمؤتمر الإسكندرية، والذي مهّد لتأسيس الجامعة العربية، وقد بحث المؤتمر ولأول مرة فكرة إنقاذ أراضي فلسطين عن طريق تشجيع الفلاح الفلسطيني، ورفع مستواه الاقتصادي والاجتماعي، وتحسين حال الأراضي وزيادة إنتاجها.

وقد تبلورت هذه الأفكار من خلال اللجنة الاقتصادية التابعة لجامعة الدول العربية في دورة تموز سنة 1945م وتبنت تأسيس المشروع الإنشائي العربي، وتم وضع خطة خمسية تبرع بموجبها الدول العربية للجمعية بمليون جنيه فلسطيني سنويًا، كانت جمهورية

العراق الدولة الوحيدة التي التزمت فعلاً بالقرار وتبرعت بمبلغ قيمته (150) ألف دينار خلال سنة 1946م، و(100) ألف دينار أخرى في سنة 1947م.

وبعد تنامي عداء الحركة الصهيونية للشعب الفلسطيني عام 1945م، قرّر العلمي أن ينشئ مؤسسة فلسطينية غير ربحية تكون عوناً لأبناء العائلات الفقيرة، متخصصة في مجالات تنمية واستصلاح الأراضي الزراعية والثروة الحيوانية، وتحسين ظروف حياة المزارع الفلسطيني، وتشجيع أبناء العائلات الفقيرة، وبعد النكبة تكون عوناً لأبناء عائلات اللاجئين الذين سكنوا مدينة أريحا في تعلّم مهنة توفر لهم العيش الكريم، وساهمت وحدة الضفتين (الضفة الغربية والضفة الشرقية)، في حصول العلمي على مكرمة ملكية، من جلالة الملك الراحل عبدالله بن الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، بتخصيص (8000) دونم شرق أريحا ليقوم عليها المشروع الإنشائي العربي.

تناولت هذه الدراسة المشروع الإنشائي العربي من حيث تاريخه وتطورات، وطموحاته والعراقيل التي يضعها الاحتلال في وجه تطويرها، وقد رجعنا في بحثنا هذا بصورة رئيسة إلى المجموعة الأرشيفية التي يمتلكها المشروع الإنشائي العربي، في منزل المرحوم موسى العلمي في بيته المقام ضمن المشروع، وهذه المجموعة غير مصنّفة وغير مفهرسة، وشكّلت أساساً المادة الدراسة، وقد حصل على مواد هذه المجموعة بعد زيارات عدة للمشروع، تضمن لقاءات مع أ.نجلاء حمدان نائبة المدير العام للمشروع، وهذه المواد الأرشيفية يجري تصويرها وتصنيفها بالتعاون مع المتحف الفلسطيني، كما اعتمد الباحث على عدد من الدراسات المنشورة، التي قام بنشرها موسى العلمي بنفسه، والتي تناولت المشروع الإنشائي العربي بشكل مباشر، وعدد من الدراسات المنشورة، وعلى رأسها الكتاب الذي نشره صديقه الأستاذ ناصر الدين النشاشيبي بعنوان: «آخر العمالقة جاء من القدس: قصة الزعيم الفلسطيني موسى العلمي».



1. مرحلة التأسيس

1.1 الجامعة العربية وفلسطين

يرتبط المشروع الإنشائي العربي بشكل مباشر بأحد أعلام الحركة الوطنية الفلسطينية موسى فيضي العلمي، الذي ولد في مدينة القدس عام 1897م، كان والده رئيسًا لبلدية القدس عام 1906م ولمدة ثلاثة أعوام، وعضوًا في مجلس المبعوثين العثماني عام 1914م عن مدينة القدس، ومن أعيانها في الربع الأول من القرن العشرين، وعائلة العلمي إحدى العائلات المقدسية العريقة التي حافظت بشكل أو بآخر على مكانتها بين أفنديات القدس رغم تقلب السياسات خلال العهد العثماني⁽¹⁾.

دَرَسَ موسى فيضي العلمي في مدارس مدينة القدس، وقبل دراسته الجامعية، التحق بالجيش العثماني عام 1917م لينفصل عنه وينضم إلى القوميين العرب بدمشق، الذين أسهموا في إشعال الثورة العربية الكبرى على تركيا، بعدها توجه لدراسة القانون في جامعة كامبردج بإنكلترا وتخرج منها عام 1925م، وبعد عودته إلى فلسطين عمل مستشارًا قانونيًا للانتداب البريطاني خلال الفترة 1925 - 1929م، ثم أصبح سكرتيرًا للمندوب السامي البريطاني ما بين عامي 1929 - 1932م⁽²⁾.

كان أحد أعضاء الوفد الفلسطيني للمفاوضات مع بريطانيا، والتي انتهت بإصدارها

(1) للمزيد عن عائلة العلمي ودورها في القدس إلى جوار العائلات الأخرى. راجع: عادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني (1800 - 1918م)، ط2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1995م، ص 297؛ مناع، عادل، النخبة المقدسية «علماء المدينة وأعيانها»، حويليات القدس، العدد الخامس، ربيع 2007م، ص 5 - 46؛ عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ط4، مطبعة المعارف، القدس، 1996م، ص 316.

(2) ناصر الدين النشاشيبي، آخر العمالقَة جاء من القدس، د. ن. د. م. 1986م، ص 8، سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد، النشاشيبي، آخر العمالقَة؛ الحوت، شفيق، «ردوا الاعتبار لهذا الرجل!» «موسى العلمي»، جريدة الأنباء الكويتية، 15/ 07/ 1984م، عدد: (5432).

الكتاب الأبيض عام 1939م⁽¹⁾، شارك في اجتماعات تأسيس جامعة الدول العربية عام 1944م، كممثل لفلسطين بترشيح ومباركة من الأحزاب السياسية فيها⁽²⁾، وقَدَّمَ إلى الجامعة العربية عدَّة مشاريع لخدمة قضية وطنه منها: المشروع الإنشائي العربي الذي يهدف إلى خلق تنمية اقتصادية زراعية والمحافظة على الأرض في وجه الهجمة الصهيونية، كما قدَّمَ مشروعًا إعلاميًا، دعا فيه إلى فتح مكاتب إعلامية لخدمة القضية الفلسطينية، وبالفعل نال موافقة الجامعة العربية على المشاريع التي تقدَّم بها، ففي مجال الإعلام قام بفتح ثلاثة مكاتب تعمل لخدمة القضية الفلسطينية في العواصم التالية: القدس، ولندن، وواشنطن، وتمت إحالة مسؤولية إقامة هذه المكاتب وتنظيمها إلى موسى العلمي نفسه.

وكانت مُساهمة جمهورية العراق السَّند المالي الحاسم للمشروع المكاتب، وقد ضمت المكاتب العربية عددًا كبيرًا من المثقفين المعروفين بِحِسِّهم الوطني، كانت غالبيتهم من الفلسطينيين، وشاركهم في تحمُّلِ عناء العمل عددًا من أبناء الأقطار العربية الأخرى،

(1) صدر الكتاب الأبيض الثالث في 17 أيار عام 1939م ونصَّ على فترة انتقالية لمدة عشر سنوات، بعدها تحصل فلسطين على استقلالها إلا إذا تطلبت الظروف إرجاء الاستقلال، والتشاور مع الدول العربية وعصبة الأمم في ذلك، ويتم في تلك الفترة تهيئة مؤسسات الحكم الذاتي، وبعد خمس سنوات تُشكَّل هيئة لوضع دستور للبلاد، ونصَّ على السماح للهجرة اليهودية لمدة خمس سنوات، بحيث يدخل كل عام (10) آلاف مهاجر يهودي، وبعد انقضاء السنوات الخمس لا يسمح بأي هجرة إلا بموافقة الفلسطينيين، وعلى الحكومة منع الهجرة غير الشرعية، كما يمنح المندوب السامي سلطات يستطيع من خلالها منع وتنظيم انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود طوال الفترة الانتقالية. أكرم زعير، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية، 1918 - 1939 م. «من أوراق أكرم زعير»، إعداد بيان نويهض الحوت، ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1984 م، ص 648 - 653.

(2) رغم ترشيحه من قبل الهيئة العربية العليا كممثل لفلسطين في الجامعة العربية، مُنع العلمي من حضور الجلسة الأولى والثانية بصفة رسمية، وبعد موافقة بريطانيا دُعي رسميًا إلى الجلسة الثالثة في (1) تشرين الأول 1944م، وتمَّ عرض كلمته في الجلسة السابعة بتاريخ (5) تشرين الأول، بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، 1917 - 1948»، ط 3، دار الهدى، كفر قرع، فلسطين، 1986م، ص 537 - 539، سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد: الحوت، القيادات؛ للمزيد راجع: موسى العلمي المشروع الإنشائي تاريخه وتطورات، المشروع الإنشائي العربي «أريحا»: تاريخه وتطورات من سنة 1944 - 1966، المطبعة التجارية القدس، د. ت، ص 10 - 11.



ومن العرب الذين حملوا جنسية أجنبية، وكان الهدف من هذه المكاتب تعريف الشعبين البريطاني والأميركي على العالم العربي - وخاصة قضية فلسطين - معرفة صحيحة، والعمل على تحسين العلاقات العربية - البريطانية والعلاقات العربية - الأمريكية، بهذا العمل الذي يعتبر الأول من نوعه في نطاق النضال العربي الفلسطيني على الصعيد الإعلامي، كان مكتب القدس يتابع تجميع المعلومات ويوزعها على المكاتب خارج فلسطين⁽¹⁾.

2.1. المشروع الإنشائي العربي

ترجع فكرة تأسيس المشروع الإنشائي العربي إلى فترة الحرب العالمية الثانية، عندما بدأ رجالا فلسطين وأحزابها سلسلة من الاجتماعات الرسمية وغير الرسمية للبحث عن أفضل الطرق لحماية الأرض الفلسطينية من خطر التهويد والاستيطان⁽²⁾. كان ممثل فلسطين في مؤتمر تأسيس الجامعة العربية السيد موسى العلمي قد حضر المؤتمر العربي العام الذي مهد لقيام الجامعة العربية، والذي عقد في مدينة الإسكندرية عام 1944م، والمعروف لاحقاً بمؤتمر الإسكندرية، وبحث مع المجتمعين فكرة إنقاذ أراضي فلسطين عن طريق تشجيع الفلاح الفلسطيني، ورفع مستواه الاقتصادي والاجتماعي، وتحسين حال الأراضي وزيادة إنتاجها.

(1) عمل في هذه المكاتب وساهم في تأسيسها المفكر المقدسي وليد الخالدي، وناصر الدين النشاشيبي، وأحمد الشقيري، الذي كان أول مدير لمكتب الإعلام العربي في واشنطن، ونقل مديراً لمكتب الإعلام العربي المركزي في القدس، والسياسي الأردني وصفي التل، ويذكر أن الحاج أمين الحسيني كان له موقف سلبي من هذه المكاتب ومن مؤسسها، وكانت جمهورية العراق هي الداعم الوحيد لهذه المكاتب التي انتهت عملها مع آذار عام 1947م، كما أن أرشيف جمعية الدراسات العربية في القدس يضم أوراق موسى العلمي والمكاتب العربية، حمودة، سميح، أوراق داود الحسيني «جوانب مستترة من النضال الفلسطيني في فترة الانتداب»، حوليات القدس، العدد السادس، شتاء - ربيع 2008م، ص 18 - 20، ص 5 - 22؛ النشاشيبي، آخر العمالق، ص 15، 32، 97، 98.

(2) الموسوعة الفلسطينية، المشروع الإنشائي العربي، ج4، ص 305 - 308.

وقد تبلورت هذه الأفكار في بروتوكول الإسكندرية، الذي خصص البند الخامس منه لفلسطين، وقد أحال مساهمات الصندوق القومي العربي لإنفاذ أراضي العرب في فلسطين إلى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه، وفي اجتماعات اللجنة الاقتصادية التابعة لجامعة الدول العربية في دورة تموز سنة 1945م، تبنى مؤتمر الإسكندرية فكرة تأسيس المشروع الإنشائي العربيّ بموجب قراره الصادر في تشرين الثاني عام 1945م، كما اتفق على وضع خطة من خمس سنوات تتبرع بموجبها الدول العربية للجمعية بمليون جنيه فلسطيني سنويًا، حيث تقوم الجمعية بشراء الأرض ووقفها وقفًا صحيًا على العرب وتأجيرها للمزارعين.

وفي سنة 1945م، تم تسجيل جمعية المشروع الإنشائي العربي في حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين، ثم سُجلت ثانية في 14/12/1952 بموجب نظام أساسي معدل لدى حكومة المملكة الأردنية الهاشمية، كما جرى تسجيلها ضمن قانون الجمعيات الخيرية رقم (7) عام 1965م⁽¹⁾، وقد نصّت المادة الثانية من هذا النظام الأساسي على أنها جمعية خيرية محض لا تتدخل في السياسة مطلقًا، ولا تستهدف الحصول على ربح مادي، وتسعى إلى تحقيق الغايات التالية:

- 1 - استصلاح أراضي القرية العربية ورفع مستواها الصحيّ والعمرانيّ.
- 2 - تحسين حالة المزارعين العرب.
- 3 - تشجيع التشجير في المناطق الجبلية والنائية.
- 4 - تشجيع النظام التعاونيّ.
- 5 - تحسين الصناعات الزراعية والقروية.

(1) حول شهادة تسجيل الجمعية راجع ملحق رقم (2)، ملفات المشروع الإنشائي العربي «غير مصنفة».

6 - إنشاء معاهد للتدريب الزراعي والصناعي للأيتام والمعوزين.⁽¹⁾

وقال العلمي في اجتماعات اللجنة التحضيرية لتأسيس الجامعة العربية: «أما مشروعنا الإنشائي فيرمي إلى إنقاذ الأراضي عن طريق غير طريق الشراء، نأتي لأهل هذه القرية ونقول لهم: إننا مستعدون أن نأخذ على عاتقنا جميع ديونكم، شرط أن تدفعوها لنا بالتقسيط في مدة معينة، ودون فائدة، ونحن مستعدون أن نشرف على زراعتكم بواسطة أدواتنا، وآلاتنا الزراعية، ومهندسينا فندخل تحسيناً على زراعتكم، ونقيم زراعات جديدة في أراضيكم، ثم ندربكم على أمور وأعمال تجهلونها حتى الآن، من مثل تربية الدواجن على الطراز الحديث، وتربية الأبقار، وصناعة الألبان، وهكذا تصبح الأراضي التي بأيديكم، والتي لا تكفي الآن للقيام بأودكم، أكثر إنتاجاً بسبب مجهودنا الزراعي، ورأس المال الذي ننفقه في هذا السبيل، كذلك نريد إحياء الصناعات القروية... ونقول لأهل هذه القرية إن بيوتكم غير صحيّة... ونحن مستعدون لإصلاح ما يمكن إصلاحه منها، وإنشاء بيوت خلفها... كذلك فنحن مستعدون لإقامة مستوصف لكم في القرية،... ثم نبني لكم يا أهل القرية مدرسة... وكذلك نبني لكم جامعاً أو كنيسة،.... وتعاون معكم على التشجير والتحريش في الأراضي الجبلية القاحلة النائية...»⁽²⁾.

وطالب بمدة زمنية ما بين الخمس إلى سبع سنوات كحد أقصى لتنفيذ هذه الخطة، وكان مقر الجمعية مدينة القدس، وكان مؤسسو هذه الجمعية وأعضاؤها من شخصيات من مختلف المدن الفلسطينية⁽³⁾، وقد بدأت الجمعية أعمالها بتأسيس اللجان الفرعية في قرى ومدن فلسطين، وإسداء النصح للمزارعين وإرشادهم إلى أمثل الطرق لحماية أنفسهم من

(1) العلمي، المشروع الإنشائي تاريخه وتطورات، ص 5 - 7، ص 22، 30.

(2) جريدة فلسطين، 25/ 8/ 1945م، عدد 152 - 6106.

(3) الحوت، القيادات، ص 904.

الهجمة الاستعمارية الصهيونية⁽¹⁾.

وكان العلمي يتابع بنفسه فكرة الترويج والدعم للمشروع الإنشائي العربي في المدن والقرى الفلسطينية قبل النكبة، لقد كانت حجة بريطانيا على العرب بأن الصهاينة يزرعون الأرض ويحسنون الزراعة، ومن يريد أرضاً، شرط أن يستصلحها ويزرعها، فإن الحكومة ستمنحه ذلك⁽²⁾، وفي أواخر عام 1947م كان لديه دراسات كاملة عن مئات القرى الفلسطينية المهتدة اقتصادياً وسياسياً⁽³⁾، وقد ضم أرشيفه في المشروع الإنشائي العربي عددًا من هذه الدراسات⁽⁴⁾.

وبموجب قرارات الجامعة العربية، كان من المفروض أن يتم تمويل هذا المشروع بمليون جنيه على مدار خمس سنوات، لكن الدول العربية لم تدفع شيئاً رغم العديد من الجهود والاتصالات، وكانت جمهورية العراق هي الوحيدة التي تبرعت للمشروع بمبلغ (150) ألف دينار عام 1946م، ومبلغ (100) ألف دينار آخر عام 1947م، حيث قامت إدارة الجمعية بشراء قطعتي أرض لإنقاذها من التسرب إلى الصهيونيين، أحدهما تقدر بحوالي (500) دونم في غور الفارعة، وتم تسجيلها باسم جمعية المشروع الإنشائي العربي⁽⁵⁾،

(1) العلمي، المشروع الإنشائي تاريخه وتطورات، ص 5 - 7، ص 22، 30، 48.

(2) حسني الصالح، فلسطين ذكريات مؤلمة - سيرة ذاتية، ط 1، دار الحدائث، بيروت، 1997م، ص 26 - 27.

(3) موسى العلمي، جمعية المشروع الإنشائي العربي، ط 3، المطبعة التجارية، القدس، 1960، ص 16 - 17، سيشار لهذا المصدر، العلمي، جمعية المشروع.

(4) عثرنا بعد البحث في أرشيفه الموجود في المشروع الإنشائي العربي عن دراسات تخص قرية قالونيا على بعد (6) كم عن القسطل في محافظة القدس، ودراسات عن قرية دير طريف الواقعة على بعد (10) شمال شرق الرملة.

(5) قطعة (500) دونم في غور الفارعة «عرب المساعيد» قضاء نابلس، حوض «أبو عجاج» الوسطى «قروى الفوقا»، رقم الحوض: 24088 قطعة رقم 4، سجل الأموال المنقولة، وثائق المشروع الإنشائي العربي، غير مصنفة.



والثانية في منطقة قرية زبوبا⁽¹⁾ بقضاء جنين بالمساحة نفسها، ولم يتم تسجيلها لأن اليهود استولوا عليها بعيداً حرب 1948م، ودخلت في القطاع الذي أخذته إسرائيل ضمن اتفاقية الهدنة مع الأردن⁽²⁾.

وبدأت الجمعية بإعدادهما ليكون مزارع نموذجية توفر خدمات البحث والإرشاد الزراعي، كما واكب ذلك برنامج طموح استهدف مسح حوالي (350) قرية فلسطينية للتعرف على مشاكلها وتحديد احتياجاتها التنموية وإعداد دراسات كاملة حولها، وكان مخططاً واسعاً للوصول إلى معظم القرى في فلسطين، تكون نواته البدء بثلاث قرى نموذجية واحدة في الشمال، وأخرى في الجنوب، وثالثة في الوسط، ولكن النكبة قضت على كل هذه الآمال ووجدت الجمعية نفسها في وضع صعب، ولم يبق لديها سوى (200) ألف دينار من المبلغ الذي أرسلته جمهورية العراق، وهو رأس مال الجمعية⁽³⁾.

وضعت حرب عام 1948م وما آلت إليه من نتائج الجمعية أمام تحديات ومهام جديدة، فأصبحت أهدافها تتركز على جمع الشمل، ورفع المعنويات لشعب فقد كيانه السياسي المستقل، وهُجّر من أرضه، وتقديم الدعم والمساعدة إلى اللاجئين الفلسطينيين، وبما تبقى لديه من أموال، قرر العلمي أن يقيم مؤسسه فلسطينية غير ربحية لتكون عوناً لأبناء

(1) قرية زبوبا: تقع على بعد (14) كم شمال غرب مدينة جنين، وتم اغتصاب ما يقارب من (700) دونم من أراضي القرية بحجة التعديل في الحدود عام 1948م. مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج3، ص 193 - 195.

(2) تم توقيع الهدنة الأردنية - الإسرائيلية في جزيرة رودس اليونانية بتاريخ 3/ 4/ 1949م، عادل مالك، من رودس إلى جنيف «الصراع العربي - الإسرائيلي في ماضيه وحاضره ومستقبله»، تقديم شارل مالك، دار النهار للنشر، بيروت، 1974م، ص 50 - 59.

(3) جرت محاولات للاستيلاء على هذا المبلغ، ولكن العلمي وبمباركة شخصية من الأمير عبد الله بن الحسين تمكن من الاحتفاظ به واستغلاله لصالح المشروع الإنشائي العربي، ولكن الرّاحل جلالة الملك عبد الله أثبت وصايته على هذه الأموال وأعطاه. للمزيد راجع: النشاشيبي، آخر العمالقة، ص 167 - 168.

العائلات الفقيرة، تخصصت في مجالات تنمية واستصلاح الأراضي الزراعية والثروة الحيوانية، وتحسين ظروف حياة المزارع الفلسطيني، وتشجيع أبناء العائلات الفقيرة، ولاحقاً أبناء عائلات اللاجئين الذين سكنوا أريحا بعد النكبة، ومساعدتهم على تعلم مهنة توفر لهم العيش الكريم، لقد أدرك أهمية الأرض في معادلة الصراع العربي - الإسرائيلي، وأدرك أهمية الأغوار الزراعية وتوفر المياه فيها، كان يرى أن مواجهة الاستيطان والعدو الصهيونيّ يكون باستصلاح الأرض وزراعتها والثبات عليها.

حصل العلميّ على مكرمة ملكية من الملك الأردني الراحل عبدالله بن الحسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، أوصلت بتخصيص (20000) دونم من خزينة المملكة الأردنية الهاشمية مقابل (50) فلساً للدونم الواحد من الأراضي الموات شرق مدينة أريحا، ولكن الدوائر الرسمية طلبت مبالغ عالية لقاء تسجيلها، ولما نجح في إيجاد المياه اقتطعت الدولة (12000) دونم وأعطته (8000) دونم فقط⁽¹⁾ لاستثمارها باسم المشروع الإنشائي العربي²⁰، وتم نقلها من خزينة المملكة الأردنية الهاشمية⁽²⁾ إلى تصرف المشروع ليقى قائماً بفضل تغاني الراحل موسى العلميّ.

وفي إطار عمله للبدء بالمشروع، قام بتوظيف مائة عائلة من اللاجئين واتفق معهم على العمل، وتم استصلاح الأرض والتنقيب عن الماء فيها لاستعمالها، وتأسيس مركز تأهيل لأبناء اللاجئين، وافتتح مركز للتدريب الزراعي والصناعي عام 1952م وصل عدد طلابه عام 1960م إلى 160 طالباً⁽³⁾، وضم التدريب المهني الصناعي الآلات والأدوات الكهربائية، وميكانيك الجرارات الزراعية والمضخات، ومحركات الديزل والنجارة والحدادة، والخياطة وصناعة الأحذية، وتركيب الأدوات الصحيّة، وافتتح مزارع لتربية

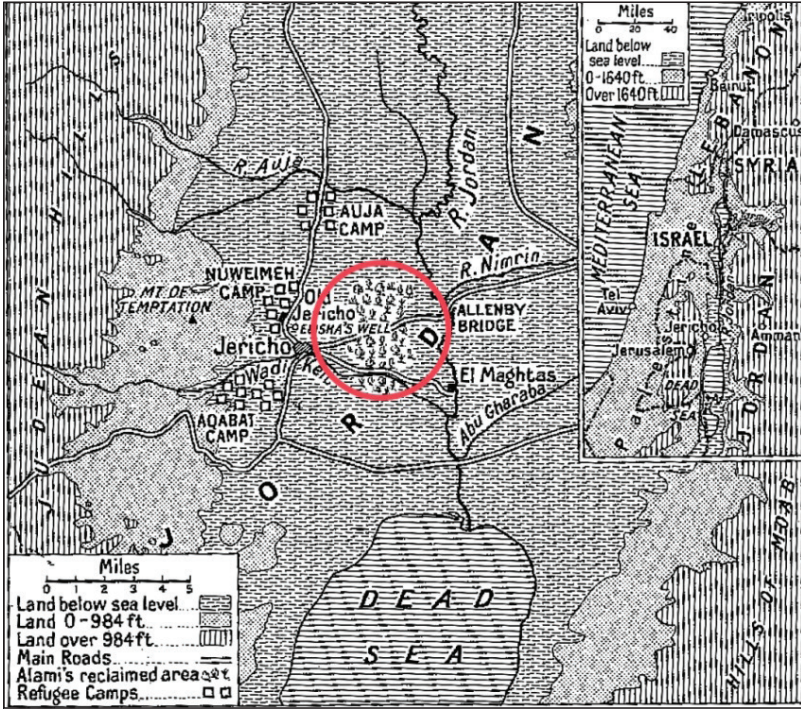
(1) النشاشيبي، آخر العمالقة، ص 167 - 168؛ العلمي، جمعية المشروع، ص 75.

(2) راجع مخطط المشروع، ملفات المشروع الإنشائي العربي، وثائق غير مصنفة؛ وانظر كذلك ملحق رقم: 1.

(3) تم افتتاح المركز بتاريخ 17 آذار 1952م، واستقبل في هذا التاريخ أول فوج من الطلاب. وثائق المشروع الإنشائي العربي «غير مصنفة».



الدواجن والأبقار، ومن جهة أخرى أقام مزارع للخضار، وتم توفير مئات فرص العمل لأبناء المخيمات بعد النكبة، وتوسّع المشروع في إنتاجه حتى وصل أسواق العديد من الدول العربية، إضافة لفلسطين والأردن، وأوى عددًا من الطلبة الأيتام والمعوزين من أبناء اللاجئين، وقام بمساعدة عدّة قرى في الخطوط الأمامية بعد أن جردت هذه القرى من أراضيها ومصادر المياه والينابيع بسبب الاحتلال الصهيوني⁽¹⁾.



موقع المشروع على خريطة الضفة الغربية

المصدر: وثائق «المشروع الإنشائي العربي» غير مصنفة

حقّق المشروع تقدّمًا ملحوظًا بجهود الراحل موسى العلمي وعلاقاته الواسعة، لقد أثبت بالدليل القاطع أن أراضي الغور ليست أراضي موات، لقد نجح في حفر آبار جوفية واستخراج المياه الصالحة للشرب، وساهم في صمود كثير من المواطنين في غور الأردن،

(1) العلمي، جمعية المشروع، ص 12 - 25، 27، 80.

رغم معارضة بريطانيا وأميركا وإسرائيل التي كانت تطمع في الاستيلاء على ما تبقى من فلسطين، لقد تمكن من قهر الصحراء⁽¹⁾ وحظي المشروع برعاية ملكية سامية، وقام جلالة الملك الراحل الحسين بن طلال بزيارة المشروع مرات عدة، وأبدى اهتماماً وإعجاباً بمدرسة التدريب المهني، وجاءت نتائج الاستصلاح على عكس ما توقع بعض الخبراء بعدم إمكانية استصلاح هذه الأراضي المالحة، فقد أثبت المشروع وجود مياه جوفية مقبولة النوعية وصالحة للزراعة، وتم الحفر باليد وبالوسائل البدائية (27) بئراً وزادها حتى بلغ عددها (40) بئراً، واستصلح حوالي (4000) دونم من الأراضي المالحة تم تحويلها إلى أرض زراعية منتجة، وأدخل نوعيات عديدة من الأشجار المثمرة، والخضروات والأعلاف، واستورد قطعاً من الأبقار المحسنة والمخصصة لإنتاج الحليب وقام بإكثاره إلى أن تجاوز عددهم (500) رأس، وأسس مصنعاً حديثاً لإنتاج الحليب المعقم (المبستر) ومشتقاته من اللبن واللبن والجبن وغيرها، وإلى جانب ذلك قام بتربية سرب من الدجاج البياض، بلغ عددها في أحد الأوقات (30,000) طائر، ونوعيات أخرى من الدواجن اللاحمة، وقام بعمليات التفريخ لسد حاجة المزرعة وسد حاجة السوق المحلي.⁽²⁾

وكان إنتاج المشروع على مستوى عالٍ من الجودة، وهذا فتح أمامه أبواب التسويق في البلدان المجاورة، فوصل إلى عمان ودمشق وبيروت والسعودية ودول الخليج العربي، وساهم المشروع في مساعدة القرى العربية في مشاريع الحفاظ على التربة، ومد الطرق الريفية، وتوفير مياه الشرب وامتلاك الآلات الزراعية، وتشجيع التعاونيات والصناعات الحرفية، وفوق ذلك كله وسَّع نشاطاته التعليمية في مختلف المجالات الصناعية والزراعية، وتربية الثروة الحيوانية.⁽³⁾

(1) النشاشيبي، آخر العمالة جاء من القدس، ص 136 - 1327.

(2) للمزيد راجع: فرلونغ، جوفري، فلسطين بلادي «قصة موسى العلمي»، ترجمة أحمد العلمي، د. ناشر، د. م، د. ت، ص 222،، سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد: فرلونغ، فلسطين بلادي.

(3) ناصر الدين النشاشيبي، آخر العمالة جاء من القدس، ص 171 - 175.



وقام العلميّ بالترويج لقصة النجاح هذه محلياً وعربياً وعالمياً أيضاً، وحصل على تبرعات من جهات عدّة بعد أن قدّموا وشاهدوا قصة النجاح هذه بأب أعينهم، لقد تبرع له الملك الراحل الحسين بن طلال عام 1966م بمبالغ ساهمت في سد العجز المالي الناتج عن التوسع في زراعة الخضار والأشجار المثمرة، ومزارع الدواجن والأبقار⁽¹⁾، وتبرعت مؤسسة فورد العالمية مرات عدة لدعم المشروع وتطوير أعماله، وتناقلت أخباره الصحافة العالمية والعربية، وبعد مرور خمس سنوات على المشروع أصبح يضم ألف لاجئ ويعيل عشرة آلاف نسمة، ويربي ويعلم (200) يتيم، وأشادت بعثة البنك الدولي للإنشاء والتعمير في تقرير التطور الاقتصادي في الأردن لعام 1957م بما تقوم به جمعية المشروع الإنشائي العربي في حقل التعليم الزراعي، وفي تطوير وسائل الرّي الفنية، واستصلاح الأراضي المالحة، وإنتاج الحبوب وعلف الحيوانات، وزراعة الأشجار المثمرة والخضار وتحسينها، وتربية الدواجن والأغنام والأبقار، وصناعة الألبان⁽²⁾.



الملك الراحل الحسين بن طلال وبجواره موسى العلمي في زيارة للمشروع عام 1955م

المصدر: وثائق المشروع الإنشائي العربي «غير مصنفة»

(1) فرلونغ، فلسطين بلادي، ص 224.

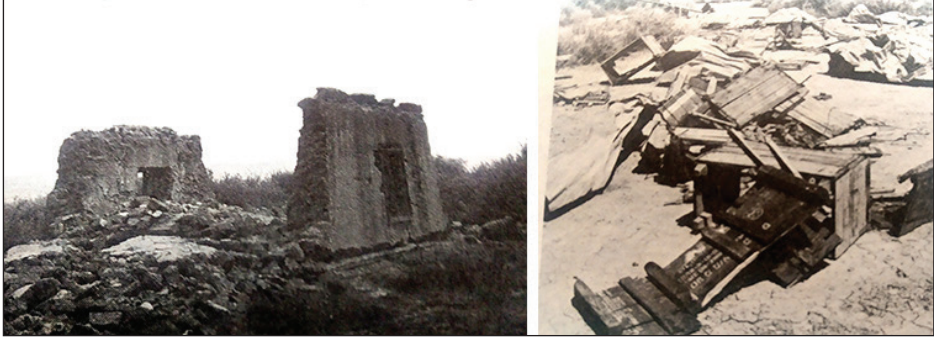
(2) انظر التقرير في ملحق (8) من كتاب العلمي، جمعية المشروع، ص 798 - 80؛ راجع كذلك: النشاشيبي، آخر العمالقة، ص 171.

2. المشروع وحرب 1967م

شكّلت الحرب العربية - الإسرائيلية في عام 1967م كارثة للمشروع، فقد كانت أراضيهِ طيلة عامين في خط المعركة الأمامي وموقعًا للمدفعية الإسرائيلية، وبالتالي هدفًا للقصف الأردني، وكتيجة مباشرة للقتال وآثاره الجانبية، فقد المشروع أكثر من نصف قطيعه من الأبقار، وجميع أسرابه من الدجاج، ومعظم آلاته الزراعية، كما أن نصيبًا كبيرًا من أجهزته وآباره أُتلف أو سرق.

كانت أكبر خسائره في قوّته البشرية المدربة التي انضم جزء كبير منها إلى صفوف اللاجئين النازحين إلى الأردن، وهناك عدد من المتدربين في معهد المشروع تعرضوا للمصير ذاته. واعتدى جنود الاحتلال على أراضي المشروع ومنشآته بدباباتهم، وحاصروا العديد من الطلاب ومنعواهم من الخروج أيامًا، لكنهم استعانوا ببقايا الطعام للبقاء على قيد الحياة، ونفقت الطيور والأبقار والأغنام من الجوع، كما عمدوا إلى الآبار فهدموها، وإلى بيوت العمال فنسفوها، وإلى المزارع فحرقوها، وقد طالبهم العلميّ بالتعويضات عبر صلاته الدولية وخصوصًا السفير البريطاني السير (هارولد بيلي) الذي حظي المشروع بدعمه، والذي كان سفيرًا لبريطانيا في مصر بين عامي 1967 - 1969م، ولكنهم رفضوا التعويض أو الاعتراف بما قاموا به، وكان جواب وزير دفاعهم الجنرال (موشيه ديان): «ليس من واجب جيش الدفاع أن يبني أو يعمر، وإنما من واجب جيش إسرائيل أن يهدم»⁽¹⁾.

(1) أكرم زعيتر «يوميات أكرم زعيتر»: سنوات الأزمة 1967 - 1970م، إعداد: معين الطاهر، نافذ أبو حسنة، هبة أمارة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، 2019م، ص70؛ المنشاشيبي، آخر العمالقة جاء من القدس، ص64، 66، 150 - 151؛ فرلونغ، جوفري، فلسطين بلادي، ص230.



جزء من بقايا أسلحة الجيش الإسرائيلي، ومخلفات المباني المدمرة عام 1967م.

المصدر: وثائق المشروع الإنشائي العربي «غير مصنفة»

كانت إعادة إعمار المشروع بعد النكسة 1967م بطيئة وصعبة في ظل الاحتلال وسياسته التوسعية، ومع ذلك ثابرت الجمعية في جهود إحياء المشروع بقيادة وتوجيه رئيسها المسنّ موسى العلمي، وبدعم متواصل من أصدقاء الجمعية وخاصة مؤسسة موسى العلميّ الأميركية، وجمعية أصدقاء المشروع الإنشائي العربي البريطانية، حيث كانت فكرة العلميّ بعد عام 1967م أن يخطط المشروع بلجنة دولية تجمع بين أعضائها البريطاني والنرويجي والأميركي والسويدي كي يحمي المشروع من بطش الاحتلال وانتقامه، وتساهم في دعم المشروع وتقوم بحملات التبرع لصالحه، ورأى أن يستعين بالنفوذ العالمي لخدمة المشروع، وكان من لجنة أصدقاء المشروع العالمية الصحفي البريطاني والمدير السابق لإذاعة الشرق الأدنى أيام الانتداب تيدي هوتشكين، والكاتبة الإنكليزية أليزابيث مونرو، والسفير جيفري فيرلونج، والسفير البريطاني السير هارولد بيلي أقدم سفراء بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط، والمؤرخ أرنولد توينبي⁽¹⁾، وقد ساعدت هذه المعونات على بقاء المشروع حيّاً، وأن تعيد له شيئاً من ازدهاره السابق⁽²⁾.

(1) النشاشيبي، آخر العمالقعة جاء من القدس، ص 150، 165، 181، 215.

(2) المرجع السابق، ص 64، 66.

3. أفاق تطوير المشروع وخطته المستقبلية والصعوبات التي تواجهه

في عام 1983م، قبل وفاة مؤسس المشروع موسى العلميّ بأشهر قليلة، تم الاتفاق بين جمعية المشروع الإنشائي من جهة ومجلس اللاجئين النرويجي، والمؤسسة السويدية لإغاثة الطفولة من جهة أخرى، على أن يقوموا بإدارة مشروع أريحا حتى عام 1987م، وشكلت هذه الجهود بداية إعادة الإعمار الحقيقية، ووفرت للجمعية فرصة لإعادة تقييم المشروع وتجديد العون له، وقبل نهاية الاتفاقية مع الجانبين السويدي والنرويجي، قام فريق من الممولين بقياده الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي في الكويت، وبمساهمة البنك الإسلامي للتنمية في مدينة جدة، ومجلس التعاون الاقتصادي الأوروبي في بروكسل، وصندوق الأوبك في فيينا، بتوفير مساعدات مكّنت المشروع من إصلاح جزء كبير من بنيته التحتية، وخاصة مصنع الألبان، وحفر بئر جديدة وإقامة مبانٍ حديثة لمعهد التدريب الزراعي، وبفضل هذا الدعم وجهود الجمعية المثابرة شارف المشروع على إكمال مرحلة إعادة البناء، وأصبح قادرًا على مجابهة المهام والتحديات القادمة.

علمًا بأن هناك خططًا مستقبلية في المشروع، تستهدف قطاعي الثروة الحيوانية والزراعة سيتم تنفيذها، إضافة إلى إعادة افتتاح المدرسة الصناعية، وزيادة حجم تسويق منتجات الألبان، وتفعيل اتفاقيات التعاون بين المشروع والمؤسسات الأكاديمية والتنموية بما يعود بالفائدة على المجتمع المحلي⁽¹⁾.

وعلى المستوى المحلي، فإن هناك تعاونًا وتنسيقًا علميًا بين المشروع والعديد من المؤسسات الفلسطينية، فقد وقّع مع جامعة القدس المفتوحة، وجامعة القدس اتفاقية تعاون لإنشاء مركز تعليمي وبحثي في المجالات الزراعية، وتهدف هذه الاتفاقية إلى إعادة تأهيل الموقع التعليمي في جمعية المشروع الإنشائي العربي ليصبح بيئة جامعية ملائمة للاستخدامات

(1) مقابلة مع نجلاء حمدان، نائب المدير العام للمشروع الإنشاء العربي، حاليًا، أجريت في أريحا، بتاريخ 2020/ 1/ 15م.



التعليمية والبحثية والتدريبية في المجالات الزراعية، حيث يشمل ذلك تأهيل القاعات الدراسية، والمختبرات، ومستلزمات التدريس والبحث العلمي، إضافة إلى المكاتب، والمرافق الصحية، والساحات الرياضية، والتجهيزات الأخرى، وهذا المشروع يساهم في تعزيز قطاعات الاقتصاد الفلسطيني، من خلال الاستثمار الأمثل للطاقات والموارد والكوادر، وتوفير فرص العمل للشباب الفلسطيني⁽¹⁾.

كما يستقبل المشروع طلبة من كليات الزراعة في منطقة العروب قضاء الخليل، ومن جامعة النجاح الوطنية في مدينة نابلس، ومن جامعة الاستقلال في أريحا، ومع جمعيات تعنى بالإنتاج الزراعي والحيواني مثلاً، ولجان العمل الزراعي ومجموعة الهيدرولوجيين، ويعمل المشروع في مجال استثمار الطاقة الشمسية التي أفرد لها خمسة دونات وهي حالياً تسد ربع إنتاج المشروع من الطاقة الكهربائية، ويجري التعاون مع مركز الأبحاث للاستثمار في مجال المياه العادمة، وإنتاج نوعيات محسّنة من النخيل وعلف الحيوانات الزراعي، ويركز حالياً على تربية الأبقار، ومصانع الألبان، ومشروع تفريخ الأسماك.



الخلايا الشمسية التابعة للمشروع الإنشائي - زيارة للمشروع: بتاريخ 2020 / 1 / 27

(1) راجع ملحق رقم (3) الاتفاقية مع القدس المفتوحة، وجامعة القدس.



صورة لأحد أحواض تفريخ الأسماك في المشروع الإنشائي العربي - زيارة للمشروع بتاريخ 27 / 1 / 2020م
 كما يعمل المشروع على تطوير علاقاته مع المجتمع المحلي عن طريق المحاضرات التي
 توضح تاريخ المشروع وتجربته، ودوره في خدمة الاقتصاد المحلي، ويعمل على تنظيم
 زيارات للمشروع للاطلاع على مرافقه وطريقة عمله. ومن جهة أخرى، يواجه المشروع
 عراقيل أهمها الاحتلال الذي يعمل على عرقلة التطوير في المشروع، حيث يجرمه من
 التصرف بمساحة (2500) دونم بحجة أنها أراض حدودية ويمنعه من استغلالها وحفر
 الآبار فيها، كما يحظر انتظام ضخ المياه في المناطق التي يسيطر عليها جيش الاحتلال
 والتي تصنف بمناطق (C)، بالإضافة إلى منع دخول منتجات المشروع إلى مناطق محافظة
 القدس⁽¹⁾.

(1) مقابلة مع نجلاء حمدان، نائب المدير العام للمشروع الإنشاء العربي حالياً، أجريت في أريحا بتاريخ 2020/ 1/ 15م.



الخاتمة:

إنّ إنشاء المشروع الإنشائي العربيّ كان خطوة رائدة تجاه تطور الزراعة الفلسطينية، مما يمكنّ الفلاحين من الحفاظ على أرضهم منعاً لتسرب الأراضي أو تركها أو تهويدها.

حيث تطورت هذه الفكرة لتعطي خدمات للطبقات الضعيفة والمهمشة، وتزيد من جودة المنتجات الزراعية، وتجاوزت ذلك بأن أصبحت تدرب أبناء الطبقات الفقيرة وأبناء اللاجئين على مهنٍ وحرف تساعدهم وتمكّنهم من أجل مغادرة مربع الفقر والعوز، والثبات على أرضهم.

وتعتبر فكرة المشروع العربي رائدة كذراع اقتصادية وتعليمية وتدريبية أيضاً، وكذلك عملية للنهوض بالواقع المهني والاقتصادي والزراعيّ، حيث ما زالت هذه المؤسسة محافظة على وجودها بالرغم من تعرضها أثناء الحرب، وطورت من أدائها بمجموعة من الاتفاقيات التي عقدتها مع المؤسسات الدولية والجامعات المحلية الفلسطينية، ويؤمها طلبة الزراعة في الكليات المختلفة.

ومن خلال مسيرة مشروع الإنشاء العربيّ، فإنه أحدث منعطفاً إيجابياً في حياة الكثيرين، ممّا مكنهم ليأخذوا دورهم في التأثير على نسبة الدخل لدى المزارعين، وممّا سبق فإنني أنصح الباحثين على الاستمرار في الأبحاث النوعية لبيان أثرها على الدخل القوميّ الفلسطينيّ، ونسبة ما ينتجه المشروع من الناتج الزراعيّ القوميّ.